جَامِعَةُ عَيْنِ شَمْسٍ

كُلِّيَّةُ الآدَابِ

قِسْمُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وآدَابِهَا

سُلْطَةُ الْخِطَابِ الشِّعْرِيِّ الْهُذَلِيِّ

دِرَاسَةٌ تَدَاوُلِيَّةٌ

رِسَالَةٌ لِنَيْلِ دَرَجَةِ "الدُّكْتُورَاه"

قَدَّمَهَا الْبَاحِثُ:

حَاتِم أَوْس مُحَمَّد السَّنُوسِي الْأَنْصَارِي

1438هـ – 2017م

الْمُشْرِفُ عَلَيْهَا:

أ.د/ مُصْطَفَى عَبْد الشَّافِي الشُّورَى

أُسْتَاذُ الْأَدَبِ وَالنَّقْدِ بِكُلِّيَّةِ الْآدَابِ

بِجَامِعَةِ عَيْنِ شَمْسٍ

د/ سَلْوَى مُحَمَّد سَلِيم الْعَوَّا

مُدَرِّسُ الْأَدَبِ وَالنَّقْدِ بِكُلِّيَّةِ الْآدَابِ

بِجَامِعَةِ عَيْنِ شَمْسٍ

شُكْرٌ

يُشَرِّفُ الْبَاحِثَ أَنْ يَتَقَدَّمَ بِالشُّكْرِ الْوَافِرِ وَالثَّنَاءِ الْعَاطِرِ إِلَى الْعَالِمِ الْجَلِيلِ الَّذِي قَبِلَ الْإِشْرَافَ عَلَى هَذِهِ الرِّسَالَةِ، وَبَذَلَ فِي تَوْجِيهِهَا وَتَصْحِيحِ مَسِيرِهَا مِنْ نَفِيسِ وَقْتِهِ وَشَرِيفِ عِلْمِهِ، حَتَّى بَلَغَ بِهَا شَاطِئَ الْأَمَانِ بَعْدَ أَنْ اجْتَازَ بِهَا وَبَاحِثِهَا مَوَجَانَ الطُّوفَانِ.

هَذَا الْأَبُ الثَّانِي وَالْقَلْبُ الْحَانِي هُوَ الْأُسْتَاذُ الدُّكْتُورُ/ مُصْطَفَى عَبْد الشَّافِي الشُّورَى، حَيْثُ كَانَ عَطَاءً مُتَّصِلًا وَصَدْرًا رَحْبًا وَنِقَاشًا مُثْمِرًا يَعِزُّ مِثْلُهُ فِي رُبوعِ الْبَحْثِ العِلْمِيِّ.

وَكَذَلِكَ الشُّكْرُ الْجَزِيلُ وَالثَّنَاءُ الْجَمِيلُ عَلَى الدُّكْتُورَةِ سَلْوَى الْعَوَّا الَّتِي قَبِلَتْ الْإِشْرَافَ عَلَيْهَا، وَسَاعَدَتِ الْبَاحِثَ عَلَى فَهْمِ الْمَنْهَجِ التَّدَاوُلِيِّ فِي لُغَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ، لِمَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِتْقَانِ لَهُ، وَالْقِرَاءَةِ فِيهِ عَلَى أَسَاتِذَتِهِ، وَمِنْهُمْ الْأُسْتَاذَةُ/ دِيِيرْدِرْ وِلْسُنْ، كَمَا تَفَضَّلَتْ بِإِمْدَادِ الْبَاحِثِ بِمَرَاجِعِهِ وَمَا يَحْتَاجُهُ فِيهِ.

وَلَا يَفُوتُ الْبَاحِثَ أَنْ يَشْكُرَ أَبَوَيْهِ الْكَرِيمَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ حَيْثُ يَسَّرَا لَهُ طَرِيقَ التَّعَلُّمِ مِنْ صِبَاهُ، وَعَلَّمَاهُ كَيْفَ يَكُونُ الْجِدُّ فِي الطَّلَبِ، فَاللَّهُمَّ احْفَظْهُمَا وَارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا.

الْمُقَدِّمَةُ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، حَمْدًا للهِ، وَتَمْجِيدًا لَهُ، وَثَنَاءً عَلَيْهِ، وَصَلَاةً وَسَلَامًا عَلَى سَيِّدِنَا رَسولِ اللهِ وَعَلَى أَبَوَيْهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ أَشْعَارَ بَنِي هُذَيْلٍ مِنْ بَيْنِ عَدِيدٍ مِنْ أَشْعَارِ الْجَاهِلِيَّةِ وَصَدْرِ الْإِسْلَامِ تَمَكَّنَتْ مِنَ الصُّمُودِ أَمَامَ امْتِحَانِ الزَّمَنِ، وَمَعَ أَنَّ سَائِرَ الشِّعْرِ الْجَاهِلِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ اشْتَرَكَ مَعَهُ فِي ذِي الْخَصِيصَةِ لَكِنَّهُ فَاقَ تِلْكُمُ الْأَشْعَارَ بِأَنَّهُ ظَلَّ مُتَشَادًّا مُتَمَاسِكًا بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ فِي وَحْدَةٍ شِعْرِيَّةٍ لِلْقَبِيلَةِ لَا وَحْدَةٍ شِعْرِيَّةٍ لِلشَّاعِرِ[1]؛ فَإِنْ صَحَّتْ الْمُعَالَجَةُ الْبَحْثِيَّةُ لِشُعَرَاءِ الْجَاهِلِيِّينَ وَصَدْرِ الْإِسْلَامِ فَرْدًا فَرْدًا، فَإِنَّهَا لَا تَصِحُّ لِشَاعِرٍ هُذَلِيٍّ إِلَّا فِي ضَوْءِ شِعْرِ الْقَبِيلَةِ.

وَأَثْمَرَ مَجْمُوعُ الْأَسْبَابِ اللُّغَوِيَّةِ وَغَيْرِ اللُّغَوِيَّةِ فِي الْخِطَابِ الشِّعْرِيِّ الْهُذَلِيِّ أَنْ جَعَلَتْ لَهُ أَوْلَوِيَّةً خَاصَّةً حِينَ جَاءَ وَقْتُ التَّدْوِينِ، وَأَهَمِّيَّةُ ذَلِكَ الشِّعْرِ –لُغَوِيًّا وَأَدَبِيًّا فِي التَّعْبِيرِ عَنِ التَّجْرِبَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ– دَعَتِ الْأُدَبَاءَ وَالْعُلَمَاءَ أَنْ يَتَعَامَلُوا مَعَهُ جُمْلَةً وَاحِدَةً غَالِبًا؛ فَكَانَ أَنْ جُمِعَ فِي دِيوَانٍ وَاحِدٍ مُنْذُ أَمَدٍ بَعِيدٍ، وعُنِي بِهِ الشُّرَّاحُ وَالشُّعَرَاءُ، كَمَا اخْتَارَ مِنْهُ مُصَنِّفُو الْمَجْمُوعَاتِ الشِّعْرِيَّةِ قَصَائِدَ مُعَيَّنَةً، تَوَاتَرَتْ فِي الدِّلَالَةِ عَلَى أَعْلَى دَرَجَاتِ

---

1 وتظهر وَحدةُ قبيلةِ هُذَيلٍ وصمودُها إلى يوم الناس هذا في منتدياتهم على الإنترنت، وفيها يجد الباحث أكثرَ ما طُبع عن الهذليين من كُلِّ جهة، وإن لهم لفضلًا على هذه الرسالة فِي استيفاءِ مراجِعِهَا بِيُسْرٍ، والحمد لله رب العالمين، انظر: www.hothle.com

الْجَوْدَةِ فِي التَّعْبِيرِ عَنِ الْعَاطِفَةِ الصَّادِقَةِ وَالْحِسِّ الْمُرْهَفِ كَعَيْنِيَّةِ أَبِي ذُؤَيْبٍ القِرْدِيّ الْهُذَلِيّ[2] وَغَيْرِهَا.

وَمِنْ هُنَا يُعَدُّ شِعْرُ الْهُذَلِيِّينَ غَنِيًّا أَدَبِيًّا، بِمَطَاوِيهِ الْخَبِيئَةِ فِيهِ، الَّتِي تُحْدِثُ فِي مُتَلَقِّيهِ التَّأَثُّرَ وَالاهْتِزَازَ، مِنْ يَوْمِ أُنْشِدَ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى إِلَى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا؛ وَلِذَا قَامَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ وَبِهِ أَبْحَاثٌ أَدَبِيَّةٌ وَافِرَةٌ جَزِيلَةٌ، تُحَاوِلُ كَشْفَ أَسْرَارِ صِنَاعَتِهِ الشِّعْرِيَّةِ، وَتَفْسِيرَ آثَارِهِ السِّحْرِيَّةِ فِي النَّفْسِ البَشَرِيَّةِ، بِمَا تَنْعَقِدُ عَلَيْهِ الْيَدُ، رَصْدًا تَحْلِيلِيًّا تَجْرِيبِيًّا، أَكْثَرَ مِنْهُ وَصْفًا تَخْيِيلِيًّا أَدَبِيًّا.

وَهَذِهِ الدِّرَاسَةُ خُطْوَةٌ فِي هَذَا الطَّرِيقِ، تُحَاوِلُ دِرَاسَةَ الْبُعْدِ التَّدَاوُلِيّ فِي شِعْرِ الْهُذَلِيِّينَ، وَهَذِهِ الْمُقَدِّمَةُ تَشْتَمِلُ عَلَى بَيَانِ عَتَبَاتِ الدِّرَاسَةِ، وَهِيَ: أَسْبَابُ اخْتِيَارِ الدِّرَاسَةِ، وَمُشْكِلَتُهَا، وأَهَمُّ الدِّرَاسَاتِ السَّابِقَةِ عَلَيْهَا، وَأَقْسَامُ الدِّرَاسَةِ.

مُشْكِلَةُ الدِّرَاسَةِ

تَقَعُ مُشْكِلَةُ الدِّرَاسَةِ فِي الْبَحْثِ عَنْ مَوَاطِنِ التَّأْثِيرِ وَعَوَامِلِهِ، وَقَدْ شَهِدَ الْمُتَقَدِّمُ وَالْمُتَأَخِّرُ لِذَلِكَ التَّأْثِيرِ، وَتِلْكُمُ الْعَوَامِلُ الَّتِي تَضَافَرَتْ مِنْ مَنَابِعَ مُتَعَدِّدَةٍ حَتَّى خَلَقَتْ حَيَاةً لِلْخِطَابِ الشِّعْرِيّ الْهُذَلِيّ لَا فِي مَقَامِ تَلَقِّيهِ الْأَوَّلِ فَحَسْب، بَلْ فِي مَقَامَاتِ التَّمَثُّلِ والتَّلَقِي التَّالِيَةِ، حَيْثُ عَاشَ مُلْهِمًا لِلشُّعَرَاءِ، مَرْمُوقًا عِنْدَ مُؤَرِّخِي الْأَدَبِ، مَفْحُوصًا عِنْدَ النُّقَّادِ، عَلَى مَرِّ الْقُرُونِ.

---

2 الْمُفَضَّلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْلَى الضَّبِّيُّ الْكُوفِيُّ: الْمُفَضَّلِيَّاتُ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون وأحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة 1979م، ط6، ص419 وما بعدها.

وَفَاعِلِيَّةُ هَذَا الشِّعْرِ هِيَ سُلْطَتُهُ الَّتِي جَعَلَتِ الْمُتَلَقِّينَ يَرَوْنَ فِيهِ دِقَّةً وَاقْتِدَارًا عَلَى تَصْوِيرِ التَّجْرِبَةِ الْبَشَرِيَّةِ الْجَمْعِيَّةِ لِلْقَبِيلَةِ، وَالشَّخْصِيَّةِ لِلشَّاعِرِ، وَتَلَقَّاهُ الْعَرَبُ –عَلَى تَعَدُّدِ مَشَارِبِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمِ وَشَخْصِيَّاتِهِمْ وَأَذْوَاقِهِمِ وَاخْتِلَافِهَا وَتَبَايُنِهَا– بِالِانْبِهَارِ وَالْإِعْجَابِ، لِمَا فِيهِ مِنْ حَبْسِ ظِلِّ التَّجْرِبَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي نَظْمٍ بِقَدْرٍ مَعْلُومٍ[3]؛ وَلِذَا احْتَاجَ مِنَّا هَذَا الشِّعْرُ إِلَى بَحْثٍ فِي تَصْمِيمِ بِنَائِهِ الْفَنِّيِّ وَظُرُوفِ حَيَاةِ شُعَرَائِهِ، لِاكْتِشَافِ سُلْطَةِ خِطَابِهِ.

وِمِنْ هُنَا كَانَ التَّسَاؤُلُ الرَّئِيسُ فِي الدِّرَاسَةِ:

مَا مَكَامِنُ التَّأْثِيرِ فِي هَذَا الْخِطَابِ الشِّعْرِيِّ الْهُذَلِيِّ؟

وَمِنْهُ تَنْفَرِعُ التَّسَاؤُلَاتُ التَّالِيَةُ:

أَوَّلًا: مَا عَتَبَاتُ الْخِطَابِ الشِّعْرِيِّ الْهُذَلِيِّ الَّتِي هَيَّأَتْ مُتَلَقِّيهِ لَهُ؟ وَمَا أَنْوَاعُهَا؟ وَكَيْفِيَّةُ تَوْظِيفِهَا شِعْرِيًّا؟ وَدَوْرُهَا فِي السِّيَاقِ الْوَظِيفِيِّ لِلْقَصِيدَةِ؟

ثَانِيًا: مَا دَوْرُ الْحِوَارِ الشِّعْرِيِّ فِي السِّيَاقِ الْوَظِيفِيِّ؟ وَمَا أَثَرُ التَّخْيِيلِ الْوَارِدِ فِيهِ فِي عَمَلِيَّةِ التَّلَقِّي؟ وَمَا مَوْقِفُهُ مِنْ قَوَاعِدِ التَّخَاطُبِ؟

ثَالِثًا: مَا بَصْمَةُ الْمَجَازِ الشِّعْرِيِّ فِي فِعْلِ الْكَلَامِ لِيَخْتَلِفَ عَنْ فِعْلِ الْكَلَامِ فِي سِيَاقِهِ غَيْرِ الشِّعْرِيِّ؟ وَمَا قِيمَةُ الْحَدَثِ الْكَلَامِيِّ الْمُنْجَزِ شِعْرِيًّا؟

3 هذا القدر المعلوم سيأتي بيانه عند الكلام على التخييل والتمثيل في مواضع ذكرهما بالباب الثاني إن شاء الله تعالى.

رَابِعًا: مَا إِمْكَانِيَّةُ النَّظَرِ إِلَى قَصَائِدِ الدِّيوَانِ وَأَبْيَاتِهِ فِي تَرْتِيبٍ جَدِيدٍ بِحَسَبِ أَوْسَعِهَا انْتِشَارًا وَتَأْثِيرًا فِي مَجْمُوعِ الْمُتَلَقِّينَ؟ وَمَا الْقِيمَةُ الْمُسْتَفَادَةُ مِنْ هَذَا التَّرْتِيبِ؟

أَسْبَابُ اخْتِيَارِ الدِّرَاسَةِ

تَظَاهَرَ عَدَدٌ مِنَ الْحَوَاتِّ عَلَى اسْتِشْكَالِ تَسَاؤُلِ الدِّرَاسَةِ وَإِيقَادِ الْحَمَاسَةِ لِلْبَحْثِ عَنْ جَوَابِهِ، مِنْهَا مَا يَخُصُّ الظَّرْفَ الْمَعْرِفِيَّ وَالْأَدَبِيَّ الَّذِي يَحْيَاهُ الْبَحْثُ وَالْبَاحِثُ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنْ الْقَرْنِ الْخَامِسَ عَشَرَ الْهِجْرِيِّ، وَهَذَا الْجَانِبُ يَتَعَلَّقُ بِكَوْنِهِ بَحْثًا فِي السُّلْطَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ الْفَاعِلَةِ، وَالْقُوَّةِ التَّأْثِيرِيَّةِ الْعَامِلَةِ الَّتِي يُهَيْمِنُ بِهَا الْخِطَابُ عَلَى الْمُتَلَقِّي هَيْمَنَةَ الطَّائِرِ عَلَى فِرَاخِهِ[4]؛ حَيْثُ يَتَّجِهُ النَّظَرُ إِلَى السُّلْطَةِ النَّافِذَةِ لِلشِّعْرِ فِي النَّاسِ وَالْوَاقِعِ، وَقُدْرَةِ الْخِطَابِ الشِّعْرِيِّ عَلَى تَشْكِيلِ عَالَمِ الْوِجْدَانِ وَمِنْ ثَمَّ تَشْكِيلِ عَالَمِ الْأَعْيَانِ[5].

كَمَا أَنَّ مِنْ تِلْكَ الْحَوَاتِّ مَا يَخُصُّ شِعْرَ بَنِي هُذَيْلٍ فِي أَعْمَاقِ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى بَيْنَ مَضَارِبِهِمْ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ.

وَكَوْنُ الدِّرَاسَةِ مُنْحَصِرَةً فِي الشِّعْرِ فَلِأَنَّهُ أَعْلَى فُنُونِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَبْقَاهَا وَأَدْخَلِهَا فِي تَرْكِيبِ الْهُوِيَّةِ الْحَضَارِيَّةِ لِلْأُمَّةِ، بَلْ هُوَ مِنْهَا بِمَنْزِلَةِ الْعَمُودِ لِلْخَيْمَةِ، وَأَمَّا كَوْنُهُ قَدِيمًا أَوِ الْأَقْدَمَ فَلِأَنَّ إِحْكَامَ دِرَاسَةِ الْجُذُورِ شَرْطٌ لِحُسْنِ فَهْمِ الْجُذُورِ وَفَهْمِ الْأَطْوَارِ

---

4 هَيْمَنَ الطائِرُ على فِرَاخِهِ رفرف عليها، انظر:

- أبو القاسم محمود جار الله بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة، دار الكتب المصرية، القاهرة 1923، ج2، ص553، مادة (هـ.ي.م.ن).

5 سيتضح المقصود هنا بجلاء عند الكلام –في التمهيد بعد قليل– على المراد بالسلطة.

اللَّاحِقَةِ وَالْفُرُوعِ الْبَاسِقَةِ؛ وَالشَّرْطُ مُقَدَّمٌ عَلَى الْمَشْرُوطِ، كَمَا أَنَّ الْحَضَارَةَ بِنَاءٌ يَقُومُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ.

وَأَمَّا كَوْنُ الْخِطَابِ لِقَبِيلَةٍ لَا لِفَرْدٍ فَلِأَنَّهُ لَا شَاعِرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوْ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ فَاقَ بِشِعْرِهِ وَحْدَهُ شِعْرَ قَبِيلَةٍ مُمْتَلِئَةٍ بِالشِّعْرِ كَتَمِيمٍ أَوْ قَيْسٍ أَوْ أَسَدٍ أَوْ هُذَيْلٍ أَوْ طَيِّءٍ، وَأَمَّا كَوْنُهُ هُذَلِيًّا فَلِمَا تَقَدَّمَ مِنَ التَّمَاسُكِ الْمَتِينِ بَيْنَ خُيُوطِ النَّسِيجِ الشِّعْرِيِّ الْهُذَلِيِّ، بِحَيْثُ تَتَّحِدُ قَالَةُ الْمُتَقَدِّمِين فِيهِ وَمَنْ تَلَاهُمْ، بِقَوْلِهِمُ النَّظَرِيِّ تَارَةً، وَتَارَةً أُخْرَى بِالْفِعْلِ الْعَمَلِيِّ بِالْجَمْعِ وَالتَّدْوِينِ وَالرِّوَايَةِ، فَضْلًا عَنْ أَنَّ الدِّيوَانَ نَاطِقٌ بِذَلِكَ مُقَارَنَةً بِدَوَاوِينِ الْجَاهِلِيِّينَ وَالْإِسْلَامِيِّينَ.

أَهَمُّ الدِّرَاسَاتِ السَّابِقَةِ

لَمْ يَقِفِ الْبَاحِثُ عَلَى أَيِّ دِرَاسَةٍ تَدَاوُلِيَّةٍ اخْتَصَّتْ بِالشِّعْرِ الْهُذَلِيِّ، وَبَقِيَ أَنْ نُشِيرَ إِلَى الدِّرَاسَةِ التَّدَاوُلِيَّةِ الَّتِي تَعَرَّضَتْ لِلشِّعْرِ الْجَاهِلِيِّ بِعُمُومٍ؛ وَهِيَ بِعُنْوَانٍ: تَدَاوُلِيَّةُ النَّصِّ الشِّعْرِيِّ، جَمْهَرَةُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ نَمُوذَجًا، رِسَالَةُ دُكْتُورَاه لِشِيتَر رَحِيمَة بِقِسْمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِكُلِّيَّةِ الْآدَابِ وَالْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِجَامِعَةِ لَخْضَرْ بَاتنَة، بِإِشْرَافِ: عَبْد الْقَادِر دَامخي، بِمَدِينَةِ بَاتنَة بِالْجَزَائِرِ 1430هـ 2009م.

أَقْسَامُ الدِّرَاسَةِ

تَنْقَسِمُ الرِّسَالَةُ إِلَى: مُقَدِّمَةٍ، وَتَمْهِيدٍ، وَبَابَيْنِ، وَخَاتِمَةٍ، وَتُعَرِّفُ الْمُقَدِّمَةُ بِمُشْكِلَةِ الدِّرَاسَةِ، وَأَسْبَابِ اخْتِيَارِهَا، وَأَهَمِّ مَا سَبَقَهَا مِنْ دِرَاسَاتٍ، وَأَقْسَامِ الدِّرَاسَةِ.

أَمَّا التَّمْهِيدُ فَيَتَنَاوَلُ عَدَدًا مِنَ الْمُحَدِّدَاتِ الْمَنْهَجِيَّةِ لِلدِّرَاسَةِ، وَهِيَ: بَيَانُ الْمُرَادِ فِي الدِّرَاسَةِ بِالْخِطَابِ، فَالْخِطَابِ الشِّعْرِيّ، فَالسُّلْطَةِ، فَسُلْطَةِ الْخِطَابِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَتَعَرَّضُ التَّمْهِيدُ لِحُدُودِ مَادَّةِ الدِّرَاسَةِ وَمَصَادِرِ شِعْرِ بَنِي هُذَيْلٍ الَّتِي عَلَيْهَا التَّعْوِيلُ، مَعَ إِشَارَةٍ إِلَى مَنْهَجِ الدِّرَاسَةِ، وَقَائِمَةٍ بِالدِّرَاسَاتِ السَّابِقَةِ عَلَيْهَا.

وَجَاءَ **الْبَابُ الْأَوَّلُ** عَنِ التَّدَاوُلِيَّةِ بِعُنْوَانِ: الدِّرَاسَةِ النَّظَرِيَّةِ، وَيَنْقَسِمُ إِلَى سَبْعَةِ فُصُولٍ تُلْقِي الضَّوْءَ عَلَى نَشْأَتِهَا، وَتَعْرِيفَاتِهَا، وَأَنْوَاعِهَا، وَإِنْ كَانَتْ مَذْهَبًا أَمْ مَنْهَجًا أَمْ عِلْمًا مُسْتَقِلًّا، كَمَا يَأْتِي شَرْحُ الْبَرْنَامَجِ التَّحْلِيلِيّ لِنَظَرِيَّةِ أَفْعَالِ الْكَلَامِ، مَعَ تَطْوِيرٍ عَرَبِيٍّ لَهُ، وَكَذَلِكَ نَظَرِيَّةِ الِاسْتِلْزَامِ الْحِوَارِيّ، وَيُخْتَتَمُ الْبَابُ بِنِقَاشِ جَدْوَى التَّدَاوُلِيَّةِ الْأَدَبِيَّةِ وَمُنْطَلَقَاتِهَا.

أَمَّا **الْبَابُ الثَّانِي** وَهُوَ الدِّرَاسَةُ التَّطْبِيقِيَّةُ، فَيَتَكَوَّنُ مِنْ خَمْسَةِ فُصُولٍ، يَقِفُ فِيهَا الْبَاحِثُ عِنْدَ التَّوْظِيفِ الْقَانُونِيّ لِلْخِطَابِ الشِّعْرِيّ فِي بَنِي هُذَيْلٍ، وَاسْتِعْمَالِ الشِّعْرِ فِي الرَّسَائِلِ، وَبِخَاصَّةٍ رَسَالَةُ الِاسْتِغَاثَةِ، وَمِنْ بَعْدِ ذَلِكَ التَّرْتِيبُ التَّدَاوُلِيُّ لِشِعْرِ الْهُذَلِيِّينَ، ثُمَّ يَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى سُلْطَةِ الْخِطَابِ الشِّعْرِيّ الْهُذَلِيّ الرِّثَائِيّ فِي ضَوْءِ نَظَرِيَّةِ الْمُلَاءَمَةِ، وَيُخْتَتَمُ الْبَابُ بِالْكَلَامِ عَلَى الْمُلَاءَمَةِ الصَّوْتِيَّةِ فِي الْخِطَابِ الشِّعْرِيّ الْهُذَلِيّ.

وَفِي نِهَايَةِ الْمَطَافِ تَحْمِلُ **الْخَاتِمَةُ** عَرْضًا لِأَهَمّ نَتَائِجِ الدِّرَاسَةِ، وَمِنْ بَعْدِهَا ذِكْرُ **مَصَادِرِ الرِّسَالَةِ وَمَرَاجِعِهَا**، ثُمَّ **تَلْخِيصٌ** لِأَهَمّ نَتَائِجِهَا بِالْعَرَبِيَّةِ وَالْإِنْجِلِيزِيَّةِ، ثُمَّ فِهْرِسُ الرِّسَالَةِ.

التَّمْهِيدُ

جاء في عنوان الدراسة بعضُ المصطلحات المترددةِ في جَنَبَات البحث اللغوي والأدبي المعاصرَيْن؛ مما يَفْرِضُ عند البَدْءِ ضرورةً منهجيةً في تحديد المرادات بتلك الاصطلاحات، كالمراد بالخطاب والمراد بالمركب الوصفي "الخطاب الشعري" ثم المراد بالسلطة، والمراد بالمركب الإضافي "سلطة الخطاب" وبعد ذلك يأتي بيانُ حدودِ مادة الدراسة ومنهجِها، وقائمةٍ تحاول استقصاءَ كلِّ ما سبقها في دراسة شعر الهذليين.

الْمُرَادُ بِالْخِطَابِ

من قلب البنية النظرية للنحو العربي ينقسم الضمير إلى نوعين: غَيْبة وحضور، والحضور قسمان: أحدهما: ضمير المتكلم، والثاني: ضمير المخاطَب[6]، ومعنى الخطاب الموجود في هذا الأخير هو المقصودُ إذا استُعمِلَتْ كلمةُ الخطاب على الأصل، وهو عينُه المرادُ بقول نُقَّاد السرديات المعاصِرِين: استعمال الضمير الثاني.

ثم إن في استعمال التداوليين يتسع الخطاب ليدل على أحد معنيين:

المعنى الأول: عملية التخاطب التي يجري فيها تقديم المخاطِب مشاركةً لفظيةً أو غيرَ لفظية للمخاطَب في ضمن ظروف الحدث ومصاحِباته.

---

6 يقول ابن مالك في الخلاصة:

فَمَا لِذِي غَيْبَةٍ اوْ حُضُورِ كَأَنْتَ وَهْوَ سَمِّ بِالضَّمِيرِ

ويقول ابن عقيل: "يشير إلى أن الضمير: ما دل على غيبة كَهُوَ أو حضور، وهو قسمان: أحدهما ضمير المخاطب، نحو أنتَ، والثاني ضمير المتكلم، نحو أنا." راجع:

- بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بابن عقيل: شرح على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة 2005، ج1، ص77.

والمعنى الآخر: المشاركةُ نفسُها.

والخطاب بهذا الفهم يقابل مغايِرًا الجمْلَةَ؛ فهو أَعَمُّ، ويقابل مغايِرًا الملفوظَ؛ فبينهما عمومٌ وخصوصٌ وَجْهِي، ويقابل مغايِرًا اللغةَ، فهو مباين؛ لأنه استعمال واللغة وَضْعٌ.[7] والمعنى عند التداوليين مختص بالاستعمال دون الوَضْع، وفي هذه الرسالة يُستعمل هذا المصطلح للدلالة على أحد هذين المعنيين التداوليين.

وأقرب صورة في التراث العلمي العربي لهذا المعنى التداولي —وهي غير متطابقة– ما قدمه علماء أصول الفقه[8] تعريفًا للخطاب[9]، وهو: "اللَّفْظُ الْمُتَوَاضَعُ عَلَيْهِ الْمَقْصُودُ

---

7 ممن نبه على أطراف من ذلك:

- دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة 2008، ط1، ص38-40.

8 إنما احتاج الأصوليون أن يعرفوا الخطاب لأنه جنسُ تعريفِ الحكم الشرعي، وهو: "عِبَارَةٌ عَنِ خِطَابِ الشَّارِعِ الْمُتَعَلِّقِ بِأَفْعَالِ الْمُكَلَّفِينَ" راجع في ذلك مثلا:

- أبو الحسن سيد الدين علي الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ج1، ص95، وما بعدها.
- جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي: نهاية السُّول في شرح منهاج الوصول، بحاشية سلم الوصول للشيخ محمد بخيت المطيعي، عالم الكتب، ج1، ص16، وما بعدها.

9 ومن جهة أخرى ناقش الأصوليون أخذ الخطاب جنسا قريبا في تعريف الحكم الشرعي، مناقشة تزيدنا إدراكا لما يسمونه خطابا، يقول الشيخ حسن العطار: "قَوْلُهُ: (خِطَابُ اللَّهِ) أُعْتُرِضَ بِأَنَّ الْحُكْمَ الْمُصْطَلَحَ هُوَ مَا ثَبَتَ بِالْخِطَابِ كَالْوُجُوبِ وَالْحُرْمَةِ وَنَحْوِهِمَا مِمَّا هُوَ مِنْ صِفَاتِ فِعْلِ الْمُكَلَّفِ لَا نَفْسِ الْخِطَابِ الَّذِي هُوَ مِنْ صِفَاتِهِ تَعَالَى. وَأُجِيبَ بِأَنَّ الْوُجُوبَ هُوَ نَفْسُ الْخِطَابِ الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ قَوْلِ الْقَائِلِ افْعَلْ وَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا بِالذَّاتِ بَلْ الِاعْتِبَارِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ الْقَوْلَ إذَا نُسِبَ لِلْحَاكِمِ يُسَمَّى إيجَابًا، وَإِذَا نُسِبَ إلَى مَحَلِّ الْحُكْمِ وَهُوَ الْفِعْلُ يُسَمَّى وُجُوبًا، وَهَكَذَا بَقِيَّةُ الْأَحْكَامِ." انظر:

بِهِ إِفْهَامُ مَنْ هُوَ مُتَهَيِّئٌ لِفَهْمِهِ"[10] فأخرج باللفظ ما تُوُوضِع عليه من الإشارات والحركات غيرِ اللفظية، وأخرج بقيد التواضعِ المهملَ، وبالقيد الأخير في التعريف أخرج الكلامَ لمن لا يفهم كالنائم والمغمى عليه ونحوِه[11].

الْمُرَادُ بِالْخِطَابِ الشِّعْرِيِّ

والشعر لا يُحَدُّ؛ لأنه عربيٌّ؛ والعرب تقيم المعاني في النفوس بحسَبِ المقام، والحدُّ مطلقٌ عن المقام[12]، وإنما تقريب الشعر أنه: الكلام الموزون المقفى الذي فيه تخييل، وعلى هذا تسير هذه الرسالة[13].

- حسن بن محمد العطار: حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، دار الكتب العلمية، ج1، ص66.

10 سيد الدين الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، ج1، ص95.

11 وقال بعض الأصوليين: "قَوْلٌ يَفْهَمُ منه من سمعه شيئًا مُفِيدًا مطلقًا" فهو استعمال للمصدر بمعنى اسم المفعول، ويخرج منه بقيد الإفادة المهمل، ما لو استعمل قائله ما لا دلالة له في اللغة، أما قيد الإطلاق فيفيد أن هذا القول يكون خطابا سواء في حالة قصد إفهام السامع أو عدم القصد، انظر:

- تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد الفُتوحي المعروف بابن النجار: شرح الكوكب المنير، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العُبَيْكَان، الرياض 2009، ط2، ج1، ص339.

12 فيختلف معناه باختلاف المتكلمين والسامعين والظروف والمصاحبات لعملية إرادة تعريفه، وكل شيء عربي كذلك؛ لأنه ليس صوريا أرسطيا؛ بيد أن مطالب تعريفيه آبَى من غيرها على الانصياع في قوالب اليونان.

13 يُستأنَس هنا بقول بعض العلماء: "ولم يكن الشعر عندي في جوهره إلا تعبيرا جميلا منطوقًا منغومًا عن انعكاس الحياة في أروع معانيها على النفس البشرية." انظر ذلك في:

- نَجِيب مُحَمَّد الْبَهْبِيتِي: تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة 1950م، ط1، ص: (ي) من المقدمة.

وعلى ذلك فالخطاب الشعري في هذه الرسالة هو: المشاركة الشعرية المتعاونة مع عواملِ المقامِ في تكوين معنًى وإحداثِ أَثَرٍ عند المتلقي.

الْمُرَادُ بِالسُّلْطَةِ

السُّلْطَة والسَّلَاطَة والسُّلُوطَة هي: القَهْرُ والقُوَّةُ، والسُّلْطَانُ يَجْرِي مَجرى المصدر، وكَثُرَ عند العرب استعمالُها في مجالَيْنِ دلالِيَّيْنِ:

المجال الأول: صفة اللسان، فالرجل إذا وُصِفَ بسَلِيطٍ أو سَلْطٌ، والمرأة بِسَلِيطَةٍ أو سَلَطَانَة أو سِلِطَانَة؛ فالمقصود أحدُ معنَيَيْنِ: طولُ اللسانِ بمعنى الإيذاءِ به، أو حِدَّتُهُ بمعنى فصاحَتِه.

والمجال الآخر: الإمارةُ والحُكْم، ولهذا قِيلَ للأُمراء سَلاطين؛ لأَنهم الَّذِينَ تُقَامُ بِهِمُ الْحُجَّةُ والحُقوق، وتكون لهم القوة والبطش والغلبة.

وكثرةُ ذَيْنِ الاستعماليْنِ لا يمنعُ استعمالَ السُّلطة في غيرهما كوَصْفِ حَدِّ السيف أو حافر الدابة أو خُفِّهَا أو شِدَّة الدَّم.[14]

وإن كان النصف الأول من القرن الخامس عشر الهجري يَعُجُّ بقضايا السلطةِ الإِمَارِيَّة الْحُكْمِيَّة، فإنه بهذا يُفَجِّرُ في ذهن الباحث في التراث العربي عنايةً بالسلطة اللسانية، لاختصاصها بالروحِ أكثرَ من الجسد.

14 راجع في كل هذه المعاني: لسان العرب وتاج العروس، مادة (س.ل.ط).

الْمُرَادُ بِسُلْطَةِ الْخِطَابِ

وسلطة الخطاب في هذه الرسالة هي: الْقُوَّةُ الْقَائِمَةُ بِالْخِطَابِ الْمُؤَثِّرَةُ فِي الْمُتَلَقِّي الْمُجْتَمِعَةُ مِنَ انْسِبَاكِ عَوَامِلِ الْحَدَثِ التَّخَاطُبِيّ.

وهذا يعني أن العوامل التي تتسبب في إحداث سلطة الخطاب منها ما هو جزء البنية اللغوية ومنها ما ليس جزءها، كطريقة أداء المخاطِب والأوعية المعنوية التي تَظْرِفُ[15] التخاطب وتشارك عَلَاميًّا في بناء المعنى المفهوم عند المتلقي، كالوعاء الاجتماعي مثلا.

وهذه القوة لها اقتدار وهيمنة وسلطان على المتلقي، وهذا ما دعا لتسميتها "سلطة الخطاب" وإنما يُهتدى إليها من أثرها، ومعنى ذلك أنه يستدل عليها بظهور أثرها فيما تحقق بالخطاب في المتلقي والواقع.

وقد يكون غرضًا للمخاطِب حين يتطابق مع مقصدية المخاطِب، وقد ينحرف عن تلك المقصدية بدرجات مختلفة، تعكس هذه الدرجات القدرة البلاغية للمخاطِب على توظيف اختياراته اللغوية وغير اللغوية في الحدث التخاطبي لتحقيق غرضه منه.

---

15 وعن الاستعمال المعنوي لكلمة ظرف قال ابن منظور: "وظَرْفُ الشَّيْءِ: وِعاؤه، وَالْجَمْعُ ظُرُوف، وَمِنْهُ ظُرُوف الأَزمنة والأَمكنة. اللَّيْثُ: الظَّرْف وِعَاءُ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِنَّ الإِبْرِيق ظَرْفٌ لِمَا فِيهِ. اللَّيْثُ: وَالصِّفَاتُ فِي الْكَلَامِ الَّتِي تَكُونُ مَوَاضِعَ لِغَيْرِهَا تُسَمَّى ظُرُوفًا مِنْ نَحْوِ أَمامَ وقُدَّامَ وأَشباهِ ذَلِكَ، تَقُولُ: خَلْفَكَ زَيْدٌ، إِنَّمَا انْتَصَبَ لأَنه ظَرْفٌ لِمَا فِيهِ وَهُوَ مَوْضِعٌ لِغَيْرِهِ، وَقَالَ غَيْرُهُ: الْخَلِيلُ يُسَمِّيهَا ظُرُوفًا، وَالْكِسَائِيُّ يُسَمِّيهَا الْمَحَالَّ، وَالْفَرَّاءُ يُسَمِّيهَا الصِّفَاتِ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ." راجع اللسان مادة (ظ.ر.ف).

وهذا ما يستدعي المنهج التداولي؛ لأنه المعنيُّ بدراسة ذلك كما سيأتي البيان إن شاء الله تعالى.

ولا بد هنا من توضيح أمور تخص الاصطلاحات المستعملة:

الأول: عَدْلُ الباحث عن استعمال كلمة "السياقات" في مكان "الأوعية المعنوية" لأن السِّيَاق والسِّبَاق كلاهما جزء البنية اللغوية التي يؤديها المتكلم[16]؛ فليست خارجة عنها[17].

والأمر الثاني: عَدْلُ الباحث عن وصف هذه الأوعية بالمصاحِبة أو التي في مَعِيَّة الحدَث؛ لأن التفكير العربي يأبى الخَلْطَ بين الوعاء الظارف من جهةٍ والمصاحِبِ أو الذي في الْمَعِيَّة من جهةٍ أخرى؛ فهما متغايران لا متطابقان[18]، واستعمال أحدهما

16 يمكن الوقوف على هذا الاستعمال من تتبع الدلالات الأصلية للكلمة عند الجاهليين كما وردت في:
- محمد بن منظور الأنصاري: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة 1981، ط1، مادة (س.و.ق) ومادة (س.ب.ق).
- السيد محمد أبو الفيض الملقب بمرتضى بن محمد الزَّبِيدِي: تاج العروس من جواهر القاموس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 2000، ط1، مادة (س.و.ق) ومادة (س.ب.ق).

17 هكذا يجري استعمال العرب في كتاباتهم العلمية وبخاصة عند المتأخرين من الأصوليين والمناطقة والبلاغيين، بخلاف دلالة كلمة "Context" في اللغة الإنجليزية؛ فإنها تعني ما هو خارج البنية اللغوية.

18 ويظهر هذا من سبب تسمية النحاة لواو المعية، حيث يسميها البصريون واو المعية، ويسميها الكوفيون واو الصَّرْف، وسبب إطلاق ذلك عليها أنها لا يندرج ما بعدها في حكم ما قبلها؛ فكأنه صرف عنه. راجع اللسان مادة (و.ا) والتاج في الوجه السابع والعشرين في خروج الواو عن إفادة مطلق الجمع.